النقد في لبنان : تطوّره واتجاهاته

بقلم الدكتور
ميشال عاصي

ـ ١ ـ

تعرفون ، ولا شك ، ان هناك اكثر من طريق واحد يمكن ان يسلكه الباحث في موضوعات هذا المؤتمر .

وتدركون كذلك ان ثمة اكثر من زاوية واحدة يمكن ان ينطلق منها الدارس للنظر في موضوعه على ضوء الخط العام الذي يقترحه المؤتمر ، وهو رصد الاتجاهات الادبية المعاصرة واثرها في خدمة المستقبل العربي ، وطنيا ، وقوميا ، وانسانيا .

الا ان اختيار الباحث للطريق الذي ينهج ، وللمنظور الذي يلتزم ، مرتبط في النهاية بالمفهوم الايديولوجي للتاريخ ، وبالموقف الفلسفي من الادب والحياة ، سواء وعي الباحث هذا الموقف وذلك المفهوم أم لم يبلغ فيهما درجة الوعي والوضوح .

ولعل احدى سبيل للاحاطة بواقع الحركة النقدية العربية الا تنصب جهود الباحثين في هذا الموضوع على رصد الاتجاهات النقدية في اطارها العربي العام دون التوغل في الكشف عن خصائصها وأبعادها في كل قطر عربي على حدة .

ولذا ، بوصفي عضوا في بعثة اتحاد الكتاب اللبنانيين ، فان حديثي اليكم سيتضمن محاولة للكشف عن حركة النقد الادبي عندنا ، من حيث نشأتها وتطورها ، ومن حيث الاتجاهات الكبرى التي سادت في مختلف مراحل تطورها .

كما سيتضمن في الوقت نفسه تقييما لتلك الاتجاهات مستندا الى ما التزمه من مفهوم جدلي للتاريخ ولقضايا الادب والنقد .

ـ ٢ ـ

ولا بد ، قبل مباشرة اي عرض او تقييم ، من ان اقدم بايجاز الملامح الاساسية لما يستقيم عندي من مفهوم للنقد اعتقد انه يستجيب لدواعي التقدم الذي حققته امتنا في مختلف المجالات حتى الان ، كما يستجيب لدواعي التقدم الذي تطمح الى تحقيقه في المستقبل . وهو مفهوم يستند من جهة الى طبيعة الوعي النقدي للآثار ، ويستند من ناحية اخرى الى اتجاه ذلك الوعي وارتباطه بحركة الفكر ومنهجيتها .

* * *

ولمزيد من التوضيح اقول : ان النقد بما هو عملية تقييم للآثار الادبية ، فان طبيعة هذا الوعي التقييمي يمكن ان تتم على احد المستويات الثلاثة :

١ ـ مستوى الانطباع العاطفي او الحدس الشعوري .

٢ ـ مستوى الفكر العقلاني .

٣ ـ مستوى المنظومة الفلسفية .

ان هذه المستويات الثلاثة التي يمكن ان تتم فيها عملية الوعي التقييمي للآثار الادبية والفنية ، تؤلف في حقيقتها المراحل الثلاث ، او المراتب الثلاث ، لتطور الوعي الانساني وارتقائه من مستوى الادراك الحسي الى مستوى الادراك العقلاني فالى مستوى الاحاطة الفلسفية الشمولية .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان طبيعة النقد الادبي المعبر عن مجرد الانفعالات الشعورية تجاه الآثار الادبية والفنية ، هي نفسها طبيعة الفكر الانساني في أدنى درجاته من مراقي الوعي والادراك . غير ان ثمة مفارقة كبرى يجب التنويه بها حالا ، وهي انه اذا كان مجرد الانفعال الحسي بالاشياء غير كاف لاكتناه حقيقة العالم الموضوعي وامتلاكه ، فانه يظل شرطا لازم الوجود لكل توجه عقلاني ، او فلسفي ، يليه لاكتناه حقيقة الاشياء والاحداث . ومن هنا فان النقد الادبي كتعبير تقييمي عن انفعال شعوري بالآثار ظاهرة ملازمة لجميع اطوار النقد ، وملازمة اساسا لجميع اتجاهاته . سوى انها حين تكون مجردة من ضوابط الادراك العقلاني ، يظل النقد معها في موقع الرؤيا الطفولية الى الآثار ، ويبقى محصورا في حدود الالتماعات الحدسية الخاطفة ، والكشف الذاتي القاصر ، برغم ما قد يتمتع به حينئذ من عناصر الدهشة ، والاثارة الشاعرية الدافقة .

أما طبيعة النقد ، على مستوى الفكر العقلاني ، فتلك التي تنبثق من كون الفكر قد تجاوز مرحلة الحدس والانفعال لكنه لم يبلغ بعد مرتبة الانتظام في فكر فلسفي شمولي . والنقد هنا ، في هذا المستوى ، وجه من وجوه الفكر العقلاني ، وظاهرة من ظاهراته مرتبطة بقضايا الادب والفن . وهو ـ اي النقد ـ كظاهرة خاصة من ظواهر الفكر العقلاني ، انما يستبطن الاحساس الشعوري بالآثار الادبية اذ هو يسعى ، في الوقت نفسه ، الى ادراكها بالوعي العقلي ، ويعمد الى تحويل الانفعالات الشعورية الى مفاهيم نظرية ومدركات عقلية واعية . غير ان طبيعة النقد في هذه المرتبة ، كطبيعة الفكر ذاته ، هي خواطر وآراء ومواقف لا ينتظمها سلك واحد من نظرة شاملة الى الحياة والابداع .

ثمة اخيرا طبيعة النقد الذي هو جزء من منظومة فلسفية شاملة ، وجانب من رؤيا عامة الى الكون والحياة . وفي هذا المستوى الامثل من طبيعة الفكر الفلسفي لا يبيت النقد مجرد انفعالات شعورية ، او

مجرد خواطر وآراء تزاوج الاحاسيس الشعورية وتستبطنها . وانما يصبح النقد غرضا من اغراض الفلسفة يبحث على ضوئها في قضايا الادب والفن . بل يصبح هو نفسه فلسفة الادب والفن . وكل نظر فلسفي يحاول اصلا اكتناه العالم وامتلاكه انطلاقا من احساس شعوري ضمني بالاشياء ، وانطلاقا من وعي عقلاني كلي يستبطن الاحاسيس الوجدانية العفوية ، كما يستبطن الخاطرة الفكرية القاصرة ، يصبح النقد نظرا فلسفيا في حقائق الابداع الادبي والفني وعلاقاتها بالطبيعة والانسان والمجتمع . اي بالحياة في شتى امتداداتها وابعادها .

* * *

هذا فيما يختص بطبيعة النقد ، وبطبيعة الفكر الادبي على العموم اما بصدد الاتجاه النقدي فيمكن القول انه استنادا الى ان الفكر الانساني نفسه ، الذي هو حصيلة العلاقة التفاعلية بين الذات والموضوع ، قد يتجه ، في اطار هذا التفاعل ، وجهات مختلفة ، بل ومتناقضة ، تتراوح بين غلبة الذاتية من ناحية ، وبين غلبة الموضوعية من ناحية اخرى . ولذا فان النقد باعتباره احد قطاعات الفكر ، وظاهرة متخصصة من ظاهراته ، لا بد من ان يتجه هو الاخر في واحد من تلك الاتجاهات متراوحا بين الذاتية المثالية من جهة ، وبين الواقعية العلمية من جهة ثانية .

وهكذا نجدنا امام معيارين متلازمين لقياس الاعمال النقدية وتقييمها :

الاول يفرض تحديد هوية النقد من حيث طبيعته الفكرية .

والثاني يفرض تحديد هويته من حيث الاتجاه الفكري الذي ينتهج .

وعندي ان الهوية الايجابية للنقد في المعيار الاول تكمن في ارتقائه الى مستوى الفكر الفلسفي ، وانخراطه في منظومة شمولية لهذا الفكر في حين أن سمات الوجه السلبي لتلك الهوية تكمن في تداعيه هبوطا الى مستوى الخواطر ، والانفعال الشعوري المتقلب .

وعندي كذلك ان الهوية الايجابية للنقد في المعيار الثاني تكمن في درجة التزامه للاتجاه الواقعي والعلمي في النظرة الى الاثارالادبية، من ضمن نظرته العامة ، في الاتجاه الواقعي والعلمي نفسه ، الى الحياة والمجتمع في تطورهما التاريخي على اساس الصراع الجدلي بين قوى النمو والتخلف ، وقوى الحرية والاستبداد . في حين أن وجه السلبية ههنا يكمن في ابتعاد النقد عن هذا الخط الفكري الموضوعي كمرتكز اساسي لتقييم المضامين الادبية والفنية ، وتوجهه نحو خط الذاتية ، والرؤيا المثالية في النظرة العامة الى الناس والاحداث .

ومن هنا فان النقد الادبي الذي اعتقد انه ، في ميدانه ، يؤثر التأثير الايجابي في المستقبل العربي ، هو النقد الذي يرتفع في طبيعته الى مستوى الفكر الفلسفي في الادب والفن ، وهو الذي يتجه في هذا المستوى اتجاه الفكر الفلسفي ذي المنهجية الجدلية في فهم التاريخ والتأثير في مجراه التقدمي والانساني بصورة دائبة على الدوام .

ولعل هذا المفهوم للنقد يستطيع وحده تحقيق المعادله الكبرى بين جوهرين متناقضين : جوهر الفن وهو في طبيعته الاصيلة ذروة الحس بالاشياء ، وجوهر الفكر ، وهو اساسا قمة الادراك العقلاني ، والوعي الشمولي للواقع وحركته وابعاده .

- ٣ -

والان ، ماذا عن النقد الادبي في لبنان ، نشأته ومراحله واتجاهاته ؟

يمكن القول بصورة عامة ان بدايات النقد عندنا مواكبة لانخراط لبنان المعاصر في حركة التاريخ العربي منذ بدايات النهضة الحديثة .

واذا كان المؤرخون قد اصطلحوا على جعل القرن التاسع عشر هو القرن الاول للانبعاث الحديث فان جذور اليقظة العربية قد امتدت الى ما قبل التاسع عشر في كثير من مواطن اللغة العربية ومن بينها المناطق اللبنانية .

كما يمكن القول بصورة عامة كذلك أن طبيعة النقد واتجاهاته عندنا مرتبطة ارتباطا وثيقا بطبيعة الفكر واتجاهاته في لبنان ، ومواكبة لحركة تطورنا الاجتماعي والتاريخي .

ولعل المراحل التي تعكس حركة التطور الاجتماعي والفكري في لبنان ، هي التالية :

١ - مرحلة المواجهة الاولى مع معطيات من حياة الغرب وتفكيره .

٢ - مرحلة التفاعل مع معطيات الحضارة الغربية .

٣ - مرحلة التوجه نحو تحقيق الاصالة التراثية والعالمية .

هذه المراحل الثلاث تعكس في الحقيقة وجه وجودنا الحضاري في العصور الحديثة ، وهو وجود يتسم في كل مرحلة منها بخصائص تاريخية تطبع ثقافتنا وتفكيرنا بميزات اساسية يحسن بنا ذكرها بايجاز ، لانها في الوقت نفسه ، مميزات الفكر النقدي الذي ساد في حياتنا الادبية خلال كل مرحلة من تلك المراحل .

ولعل أول ما ينبغي التنويه به هو أن اللغة العربية في لبنان ، قد وجدت لها اثناء عصور الانحطاط ، لا سيما بعد القرن السادس عشر ، واحات تستظلها في أديرة الرهبان المسيحيين واروقة المساجد الاسلامية ، حفظت لها كيانها من التلف ، وامدتها بنسغ الحياة اللازم لبقائها واستمرارها .

والواقع ان المناطق اللبنانية في الحقبة الممتدة بين القرن السادس عشر والتاسع عشر ، عاشت فترة المواجهة الاولى لمعطيات من حضارة الغرب وثقافته ، انتقلت بنورها الينا اما عن طريق التجارة التي نشطت قليلا في تلك الازمنة ، واما عن طريق البعثات العلمية والدينية التي امت الغرب من لبنان ، او جاءت الى لبنان من الغرب .

ونتيجة لذلك النوع من الاحتكاك الاولي بالحضارة الغربية انبثقت في حياة اللبنانيين دوافع التحرك والتجاوز . غير ان آفاق التطور انذاك لم تكن تعني في ظروف التغرب عن الذات القومية ، وظروف الجهل المطبق ، سوى مواجهة الجديد الطارىء بالنفور منه والاستجابة لدواعيه بالاستمساك بالتراث ومحاولة احيائه ، لا سيما اللغة ، وهي حلقة الوصل المباشرة بين الحاضر والماضي ، والجسر الذي لا بد من عبوره لاجتياز الهوة الفاصلة بين التقهقر والانبعاث .

وهكذا كان التقدم في تلك المرحلة الاولى يعني التوجه نحو استعادة الامجاد الغابرة ، وتمثل الانماط السالفة في الفكر وفي الابداع . ومن هنا اتجهت حركة النقد والابحاث عندنا وجهة تراثية دينية ولغوية ، مجاراة لحركة الفكر في توثبه نحو الماضي من اجل الدخول في الحاضر والانخراط مجددا في مسيرة التاريخ . كما كانت طبيعة النقد والابحاث هي نفسها طبيعة الفكر الناشىء ، المنساق في خط التراث واتساعي الى تقليد نماذجه ومنهجيته .

في هذا المجال تطالعنا تصانيف ومحاولات دراسية شتى تنحصر اساسا في الشروح والتعليقات الدينية واللغوية . كما تطالعنا اسماء عدة لفقهاء دين ولغويين ، ينتسبون الى معظم الطوائف الدينية في لبنان .

ولعل ابرز بحاثي تلك الفترة هو المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠ - ١٧٣٧) الذي يعتبر بحق النموذج الامثل للبحاثة التراثي في احياء العلوم اللغوية خلال المواجهة الاولى لمعطيات طارئة من الحضارة الغربية .

- ٤ -

وتدور عجلة الزمن ويتسع نطاق المؤثرات الغربية في الحياة اللبنانية بفضل تزايد اسباب الاتصال بين الشرق والغرب ، فلا ينصرم

القرن التاسع عشر قبل ان يعرف لبنان ، الى جانب رعيل المفكرين والنقاد المحافظين ، رعيلا متعاظما من الادباء والبحاثين المجددين ، الذين دشنوا في تاريخ الفكر والنقد مرحلة التفاعل مع معطيات الحضارة الغربية ، بازاء الذين ظلت آثارهم في المقابل تجسد استمرار النزعة التراثية البحت ، نزعة الاستمساك باحياء الماضي وبعث مفاهيمه ومناهجه .

ففي حين كان الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١) والشيخ يوسف الاسير (١٨١٥ ـ ١٨٩٠) والشيخ ابراهيم الاحدب (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣) وغيرهم ينهجون في تفكيرهم الادبي ، وفي آثارهم نهج القدماء ، ويشكلون تيار التقوقع والانغلاق على التراث برز ادباء وباحثون آخرون لم يتجاوزوا اساسا المواقع التراثية لكنهم الى حد ما تأثروا بمعطيات الجديد الطارىء في الفكر وفي الحياة . فكانوا همزة وصل بين الاقبال على الحداثة والاعتصام بالموروث الثقافي والمحافظة البالغة على مفاهيمه وانماطه .

هذا التيار التطوري يمثله عندنا اوضح تمثيل الشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦) واحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ ـ ١٨٨٧) وغيرهما من الكتاب كرزق الله حسون (١٨٢٥ ـ ١٨٨٠) وسليم البستاني (١٨٤٨ ـ ١٨٨٤) واديب اسحق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٥) ونجيب الحداد (١٨٦٧ ـ ١٨٩٩) ممن انطلقوا من مواقع القديم لكنهم في الوقت نفسه اقبلوا على الجديد ونهلوا ما استطاعوا من معينه .

وهكذا شهد لبنان في حقل النقد والدراسات في القرن التاسع عشر ، لا سيما في النصف الثاني منه ، نشأة تيار تطوري يحاول ان يجاري الجديد الطارىء في الحياة وفي الفكر ، في مقابل استمرار التيار التراثي المحافظ .

ولئن لم يتجاوز اي منهما نطاق الاهتمامات اللغوية الملحة ، وصياغة مفاهيم اساسية متفرقة في الشعر وفي الادب عامة ، فان طبيعة الفكر في كليهما لم تتجاوز هي الاخرى مرحلة التوجه نحو المنطق العقلاني ، والتخلص من قيود العصبية الانفعالية والاحكام العاطفية المحدودة ، لا سيما في نتاج التيار التطوري المتفاعل مع معطيات الحضارة الغربية الطارئة .

ـ ٥ ـ

ومع دخول القرن العشرين ، واتساع حركة الهجرة اللبنانية حتى حتى شملت القارتين الاميركيتين ، بالاضافة الى البلدان العربية والاوروبية ، ومع تزايد المؤثرات الغربية في الحياة اللبنانية قبيل الحرب العالمية الاولى وما بعدها ، شهدت حركة النقد والابحاث الادبية في نشاط اللبنانيين ، المقيمين منهم والمغتربين ، قفزة الى امام ادخلت على تياري النقد المحافظ والتطوري تيارا ثالثا كان بحق تيار الحداثة والتغيير بالنسبة الى تلك الفترة .

ولقد تمثل هذا التيار الريادي في النقد عندنا بنفر من الكتاب والباحثين في طليعتهم ثلاثة هم سليمان البستاني (١٨٥٦ ـ ١٩٢٥) وميخائيل نعيمه (١٨٨٩) ، وامين الريحاني (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠) .

فمع سليمان البستاني في مقدمة ترجمته العربية للياذة هوميروس (١٩٠٤) دشن النقد عهدا جديدا من منهجية في البحث تقوم على اصول موضوعية من الدرس والتحليل ، ومن الدقة في تحري الحقائق والكشف عنها . كما دشن النقد عندنا وفي البلاد العربية عهد الدراسة المقارنة بين الاداب .

ومع ميخائيل نعيمة في كتابه « الغربال » (١٩٢٣) يعرف النقد ان يكون الداعية الى ادب يواكب الحياة الجديدة ويرتبط بمعطياتها الماثلة ، وان يكون قبل كل شيء تعبيرا عن الذائقة الشخصية للناقد بغض النظر عن اية مفاهيم تراثية سائدة . ومعه يعرف النقد الطموح الى ان يكون « عملية خلق وابداع وليس مجرد استحسان او استهجان » .

اما امين الريحاني فقد كان في آرائه النقدية مثله في آرائه السياسية والاجتماعية ذلك المفكر الليبرالي المتقدم الذي آمن بالحرية الاجتماعية انطلاقا من حرية الفرد ، وتجاوزه لمواقع التخلف والتبعية في فكره وادبه . وفي مقالته « انتم الشعراء » حث صارخ لهؤلاء ، ولجميع حملة الاقلام ، على التزام الاصالة الادبية والفنية ، اي ربط الكلمة بمضمونها الحقيقي من احساس الكاتب ووجدانه ، بدلا من سنة التقليد وتزييف المشاعر ، التي كانت سائدة في الادب والشعر يومذاك .

ـ ٦ ـ

ونتقدم في التاريخ خطوة فاذا لبنان يعرف في ظل الانتداب مرحلة احتكاك وثيق بالغرب ويعيش عن كثب في مناخ الثقافة الفرنسية واذا حركة النقد والابحاث التي اسهم البستاني ونعيمه والريحاني ونفر من ادباء الطليعة في اطلاقها خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، تكتسب في الثلاثينات والاربعينات مزيدا من التدقيق المنهجي ومزيدا من الحداثة في تذوق الآثار وتقييمها ، كما اكتسبت في الوقت نفسه عافية فكرية مكنتها من مواجهة الفن والادب بنظرة منفتحة وضعتها على طريق الاحاطة الشمولية والتوجه نحو مواقع الاصالة التراثية والعالمية .

في هذا المجال النقدي تتالق اسماء عديدة ، عمل اصحابها في الصحافة او في التدريس . واذا كان من المتعذر ذكرها جميعا فلا بد من التنويه ببعضها على سبيل المثال لا الحصر ، من مثل فؤاد افرام البستاني ، صاحب سلسلة الروائع ، وهي دراسات ادبية عن اعلام الشعراء والناثرين في تاريخ الادب العربي ، كان لها اثر عميق في تكوين الفكر الادبي الاكاديمي عندنا . ومن مثل مارون عبود (١٨٨٦ ـ ١٩٦٢) ، صاحب المقالات والابحاث النقدية المتسمة برهافة العفوية وبراءة السخرية على غنى كبير في الكشف والتعمق . كما لا بد من التنويه بجهود اسرة تحرير مجلة « المكشوف » وقد التف حولها نخبة الادباء اللبنانيين ونقادهم في اواخر الثلاثينات من غير ان تجمعهم رابطة من عقيدة الا رابطة الادب والفكر المجرد .

ـ ٧ ـ

على انه منذ فجر الاستقلال ، في مطلع الاربعينات ، وفي حين كانت خريطة النقد في لبنان موزعة بين تيار فكري محافظ ظل طوال جميع العهود السابقة يجتر مقولات التراث دون اي تحول يذكر نحو الحداثة والتطور ، وبين تيار فكري متجدد هو استمرار للخط الذي رسمناه آنفا من سليمان البستاني الى مارون عبود واسرة « المكشوف » برز في ساحة النقد اللبناني كتاب يؤمنون بمبدأ الانضوائية في الادب ، ويلتزمون قضايا الديمقراطية في السياسة والمجتمع ، ويناضلون في خط التحرر الوطني والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية . وقد توصل بعضهم الى تبني مفهوم شمولي للدولة على اساس الجدلية الماركسية لمجرى التاريخ والفكر . فراح النقد منذ ذلك الحين يشهد عندنا ولادة تيار طليعي لم يألفه تفكيرنا الادبي من قبل ، من حيث اتساع النظرة الى الادب والفن ، ومن حيث اعتبار الادب والفن ظاهرات ثقافية وايديولوجية تعكس الوضع التاريخي

وتستطيع في آن معا العمل على تطويره وتوجيهه .

وهكذا ارتفع صوت رئيف خوري (١٩١٣ - ١٩٦٧) في تلك الفترة ، يؤكد على ان الادب فعل تاريخي بمقدار ما انه فعل جمالي . وكما كان رئيف خوري في طليعة المنظرين لنقد ادبي انضوائي ،وفي طليعة المبدعين ادبا انضوائيا مشرفا ، كان ايضا في طليعة المناضلين من أجل الاستقلال الوطني وحركة التحرر العربية والعالمية .

وفي هذا النمط السياسي والفكري نفسه كانت تهدر على صفحات مجلة « الطريق » وخارجها اصوات ادبية ذات نكهة فنية متميزة . تدعو الى تشديد النضال ضد الانانية والفاشية ، والى دعم قضايا الاستقلال والتحرر . وكما كانت تدعو الى أدب انضوائي ، وتبدع اشكالا مختلفة منه ، كانت تحاول ان تصوغ المفاهيم الاساسية للفكر الادبي الانضوائي وترسيخ قواعده وبلورة نظريانه . ولا شك في ان عمر فاخوري (١٨٩٦ - ١٩٤٦) يحتل مكانة اولية خاصة بين كتاب تلك المرحلة .

- ٨ -

ومع الدخول في الخمسينات ، واحتدام الصراع السياسي في المنطقة العربية ، وتعاظم المد التحرري وتفجر ثوراته كتعبير عن رفض الهزيمة العربية في فلسطين واصرار على تعميق المنجزات التحررية ، شهدت حركة الفكر في لبنان تحركا واسعا للخروج من واقع التبعية والتخلف . وفي حين استمر الكتاب اليساريون والوطنيون باجمال يرون ان التجاوز يكمن في ترسيخ التحولات الاستقلالية وتعميق مفاهيم الحرية والديمقراطية والاشتراكية ، راح فريق آخر يعتقد ان الازمة العربية انما هي ازمة تخلف حضاري ، وان لا سبيل الى تجاوزها الا باعتناق مفاهيم الغرب الليبرالي المتقدم .

وهكذا انعكس هذا النشاط الفكري العام ، منذ مطلع الخمسينات وحتى اواخر الستينات ، في الحياة الادبية والنقدية عندنا ، ببروز تيارين يسعيان الى التجاوز من منطلقين متعارضين ، ومن آيديولوجيتين متناقضتين ، الاول تيار الادب الملتزم ويضم الكتاب اليساريين والوطنيين بوجه عام . والثاني تيار الادب الحديث ويلتف حوله الرافضون من الادباء الليبراليين على اختلاف مشاربهم والوانهم .

وفي حين اتخذ التيار اليساري منبرا له مجلة « الطريق » الشيوعية ، ومجلة « الاداب » الوطنية المستقلة ، وسواهما من الصحف والمجلات التقدمية ، التفت جماعات الادب الحديث حول مجلة « شعر » اساسا واتخذتها منبرا لانتاجها في الفكر والفن والادب ، كما اعتمدت مجلة « حوار » وغيرها من الصحف ذات الاتجاه التجديدي الليبرالي الرافض .

ومثلما كان التيار التقدمي ينمو ويتعاظم طوال تلك الفترة وتتألق فيه اسماء رواد عتاق كرئيف خوري ، وطلائع جدد كالشيخ عبدالله العلايلي ، وحسين مروة ، وميشال سليمان ، وسهيل ادريس ورضوان الشهال ، وعلي سعد ، واحمد ابو سعد ، وسواهم ، كان تيار الادب الحديث ينمو ويتسع هو الاخر وتتألق فيه اسماء عديدة من ابرزها صاحب مجلة شعر يوسف الخال ، وادونيس ، وانسي الحاج ، وعصام محفوظ ، وشوقي ابو شقرا ، وغيرهم من مؤسسي المجلة واسرة تحريرها ، فضلا عن ادباء آخرين كان لهم حضورهم الفني الكثيف في المجلة او خارجها ، وفي طليعتهم انطون غطاس كرم وخليل حاوي ، وخالدة سعيد ، وغيرهم ممن يحملون لواء الحداثة والتغيير في اطار المفاهيم الحضارية الليبرالية ، ولا يتعدونها الى الاخذ بالاشتراكية كسبيل الى التجاوز والحرية .

هذي هي العناوين الكبرى لحالة النقد حتى اواخر الستينات في لبنان .

يضاف اليها طبعا جهود نفر غير قليل من الدارسين الاكاديميين الذين يحفظون لبلدنا مكانته في حقل الابحاث الادبية الاصولية . نذكر منهم بيننا في اتحاد الكتاب اللبنانيين ، منير بعلبكي واحسان عباس، ونديم نعيمة ومحمد يوسف نجم وايليا حاوي فضلا ممن هم خارج اتحاد الكتاب ويعملون في حقل الابحاث الجامعية المختلفة .

- ٩ -

اخيرا ماذا عن اتجاهات النقد الادبي الراهنة ، وما اثرها في مجرى التاريخ العربي وصيرورته ؟

يبدو ان خريطة النقد في السبعينات ما تزال الى حد بعيد تحتفظ بالاتجاهات الكبرى التي كانت سائدة في العقدين السالفين بغض النظر عن بروز اسماء جديدة ناشئة في هذا الاتجاه او ذاك .

فهناك ، من ناحية ، تيار البحاثين الاكاديميين الذين ما يزالون يواصلون السعي في خط الدراسات الاصولية مع ميل ظاهر الى فك قيود التقليد والتحرر من مقولات التراث ومفاهيمه ، ومع ميل محسوس الى الاخذ بعلاقة الادب بالحياة والتأثير المتبادل بينهما . الا ان اعمال هؤلاء على تنوعها ودقتها وفائدتها من النواحي الادبية والفنية المجردة ، ما تزال الى حد بعيد محصورة في اطار القيمة الجمالية والشكلية للآثار ، ولا تولي ابعادها الفكرية والاجتماعية القيمة التي تستحق . كما ان معظمها لا يتوافر له بعد منطلق فكري عام يحتضن مفهوما للحياة والمجتمع ويشتمل في جملة ما يشتمل عليه موقفا من الفن والادب من ضمن ذلك المفهوم وذلك المنطلق .

وهناك ، من جهة اخرى ، تيار الحداثة الذي يؤمن بأن الدخول في العصر مرهون بالخروج من التراث والسعي في طريق التقدم الحضاري الغربي ، طريق الليبرالية وابداعاتها الخلاقة .

وهناك من جهة ثالثة التيار التقدمي واليساري الذي يؤمن بأن الحداثة تكمن في تجاوز الليبرالية والتوجه نحو الاشتراكية ، وان الاصالة تكمن في تجاوز المفاهيم التراثية المرتبطة باوضاع التخلف البائدة ، واحياء ما ينسجم منها مع ذلك التوجه ، واعتبار الادب سلاحا في المعركة التي يخوضها العرب ضد التأخر وضد الاستبداد بجميع اشكاله والوانه .

ولا ريب في ان التوجه الفكري والنقدي نحو المفاهيم الليبرالية للحداثة خطوة متقدمة على الفكر والنقد بمفاهيمهما التراثية المتخلفة. الا ان التوجه نحو المفاهيم الاشتراكية يجعل الفكر والنقد في خط الريادة والمستقبل . ويضمن لهما تأثيرا ايجابيا على حركة التاريخ العربي في اطارها الوطني والقومي والانساني .

واذا كانت الاحاطة بلونيات كل من هذه الاتجاهات متعذرة في مثل هذا المقام فان التصدي لاحصاء العاملين فيها ليس أقل صعوبة واستحالة .